مستحدث المنشآت الاجتماعية في مصر خلال عصر المماليك

(648-923هـ/1250-1517م)

The development of social institutions in Egypt during the Mamluk era
(648-923 AH/1250-1517 AD)

إعداد

أ. فتوح عطيه عبد العظيم عطيه

باحث دكتوراة في قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة دمنهور

أ.د.تيسير محمد محمد شادي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة دمنهور

د.ماهر محمد السيد أبو السعيد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات - كلية الاداب - جامعه دمنهور -

العدد (65)- الجزء الثاني -2025

مستحدث المنشآت الاجتماعية في مصر خلال عصر المماليك
(648-923هـ/1250- 1517م)

أ.فتوح عطيه عبد العظيم عطيه

أ.د.تيسير محمد محمد شادي

د.ماهر محمد السيد أبو السعيد

ملخص البحث

لعبت المنشآت الاجتماعية في عصر المماليك دورًا فعالًا في الحياة الاجتماعية وكان منها ما هو مستحدث كهذا البحث الذي جاء بعنوان: **مستحدث المنشآت الاجتماعية في مصر خلال عصر المماليك(648-923هـ/1250- 1517م)**، وقد برز كثير من المستحدثات في العصر المملوكي، فقد شهد العصر المملوكي اهتمامًا باليتامى من السلاطين والأمراء ومن القضاة والفقهاء وغيرهم من عامة المسلمين، وأولت دولة المماليك عناية فائقة بالأيتام، شملت حفظ أموالهم وتنميتها، والمحافظة عليها من الضياع، وتضمنت الحرص على إنشاء مكاتب لتعليم الأيتام القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب، وقد ساهم أفراد المجتمع في عصر سلاطين المماليك بكفالة ورعاية اليتامى، وإنشاء الدور والمكاتب لها، والوقوف عليها العام على شؤون اليتامى، واستوى في هذا الأمر الرجال والنساء على السواء، كذلك البيمارستانات وهي إحدى المنشآت الاجتماعية التى كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والأمراء وأهل الخير؛ صدقة وحسبةً وخدمة للإنسانية وتخليدًا لذكراهم، ولم تكن مهمتها قاصرة على مداواة المرضى؛ بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب، يتخرج منها المتطببون والجرّاحون والكحالون، كما هو الحال اليوم من يتخرج من كليات الطب الآن.

Research Summary

Social institutions in the Mamluk era played an effective role in social life, and some of them were innovative, such as this research entitled: **The development of social institutions in Egypt during the Mamluk era**

(648-923 AH / 1250-1517 AD). Many innovations emerged in the Mamluk era. The Mamluk era witnessed interest in orphans from sultans, princes, judges, jurists, and other ordinary Muslims. The Mamluk state paid great attention to orphans, including preserving and developing their money, and protecting it from loss. It also included keenness to establish offices to teach orphans the Holy Qur'an, reading, writing, and arithmetic. In the era of the Mamluk sultans, members of society contributed to sponsoring and caring for orphans, establishing homes and offices for them, and overseeing the affairs of orphans. Men and women were equal in this matter, as were hospitals, which were one of the social institutions that were built by caliphs, sultans, princes, and charitable people. Charity, service to humanity, and to immortalize their memory. Their mission was not limited to treating the sick; rather, they were at the same time scientific institutes and schools for teaching medicine, from which physicians, surgeons, and ophthalmologists graduated, just as is the case today with those who.

أولًا: دُور الرعاية الاجتماعية:

1- دُور الأيتام.

شهد العصر المملوكي اهتمامًا باليتامى من السلاطين والأمراء ومن القضاة والفقهاء وغيرهم من عامة المسلمين، وأولت دولة المماليك عناية فائقة بالأيتام، شملت حفظ أموالهم وتنميتها، والمحافظة عليها من الضياع، وتضمنت الحرص على إنشاء مكاتب لتعليم الأيتام القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب، واختارت لهم العلماء والمعلمين الأكفاء الثقات، ووفرت أدوات الكتابة والقراءة للأيتام، وقد حمت هؤلاء الأيتام من أي اعتداء عليهم أو ضرب لهم من معلميهم، كما حافظت على أموال اليتامى من الضياع في المجتمع [1].

كما نجد أن سلاطين المماليك **قد استحدثوا ما يسمى بالأمناء:** وهم مساعدون للقاضي: كانت مهمتهم أن يقوموا بحفظ أموال اليتامى والغائبين، وكانوا يُبالغون في القيام بهذه الوظيفة يرعون حق اليتامى ويدفعون نفقاتهم إلى أمهاتهم، ويحالون دون اقتراض القضاة أو غيرهم شيئًا من هذه الأموال[2] ويذكر أن بعض القضاة قد امتدت أيديهم إلى أموال اليتامى، ويروي لنا ابن بطوطة ويقول: "سافرت إلى مدينة أسيوط، وقاضيها شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب" **بحاصل ما ثم**" لقب شهر به، وأصله أن القضاة بديار مصر والشام بأيديهم الأوقاف والصدقات لأبناء السبيل فإذا أتى فقير لمدينة من المدن قصد القاضي بها فيعطيه ما قدر له، فكان هذا القاضي إذا أتى الفقير يقول له: **(حاصل ما ثم)** أي لم يبق من المال الحاصل شيء، فلقب بذلك ولزمه"[3] .

ومن خلال ذلك السياق يتضح أن: سلاطين المماليك كانت تجعل من يقوم على أموال اليتامى والغائبين ما يسمى بالأمناء، وذلك لما بدر عن بعض القضاة وأخذهم أموال اليتامى بغير وجه حق، فما كان من الدولة في ذلك الوقت إلا أن استحدثت ما يسمى بالأمناء حتى لا تقع أموال اليتامى في أيدى بعض القضاة ضعاف النفوس.

---

(1) يسرى أحمد عبدالله زيدان: **رعاية الأيتام في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (15)، 2007م، ص390.

(2) علي ابراهيم حسن: **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص**, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1944م, ، ص356.

(3) ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله) (ت 779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج1، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996م، 226-227.

وقد لاحظ ابن بطوطة في رحلته إلى مصر سخاء الأمراء المماليك على اليتامي، فيذكر أن الأمير طشتمر[4]، عندما سجنه مرة السلطان الناصر قلاوون، وكان من خيار الأمراء، وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلّمهم القرآن، وله الإحسان العظيم للحرافيش فاجتمع من الحرافيش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد: يا أعرج النحس، يعنون الملك الناصر، أخرجه، فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه[5].

وهذا أن دل فإنما يدل على حب الأيتام للأمير طشتمر؛ وذلك لعطفه عليهم والإحسان إليهم والتصدق عليهم.

وقد ساهم أفراد المجتمع في عصر سلاطين المماليك بكفالة ورعاية اليتامى، وإنشاء الدور والمكاتب لها، والوقوف عليها العام على شؤون اليتامى، واستوى في هذا الأمر الرجال والنساء على السواء ومن هذه الأخبار ما قام به الفقيه تاج الدين أبي العباس(723هـ/1323م) من كفالة الأيتام بمصر[6].

2- البيمارستان[7].

---

(4) **طشتمر:** هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقي, أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون, اشتراه صغيراً فرباه وحظي عنده, وتدرج في وظائف عديدة في دولة أستاذه, حتى أصبح من جملة الأمراء بالقاهرة، كان معروفاً بين الأمراء المماليك بلقب **(حُمُص أَخْضَر)**, وذلك لكثرة صدقته وإحسانه إلى الفقراء والمساكين, وعطفه على السائلين, حيث كان كثير الجود والأفضال وجزيل الأموال إلى الفقراء, لهذا أطلق علية العامة هذا اللقب, وقيل: لأنه كان يحب أكله فلقب به، (ووجد في كتاب رحلة ابن بطوطة بغير هذا الاسم؛ حيث ذكر باسم **(طشط). للمزيد راجع:** ابن تغري بردي (يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين) (ت: 874هـ/1496م)**:المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ج6، وضع حواشيه، محمد محمد أمين، تقديم، سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، د. ت، ص392-393؛ ابن بطوطة: **رحلة بن بطوطة**، ج1، ص214؛ ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد العسقلاني) (ت852هـ/1448): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج2، تحقيق، محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر اباد- الهند، ط2، 1972م، ص219.

(5) **رحلة بن بطوطة**، ج1، ص214.

(6) يسرى زيدان: **رعاية الأيتام في العصر المملوكي**، ص402-403.

(7) **البيمارستان:** كلمة فارسية مركبة من **بيمار**: بمعنى مريض، **وستان:** بمعنى مكان أو محل، وقيل ويقال لها بالتركية (خسته خانه) أي محل لمعالجة المرضى وإقامتهم، وتقابل كلمة مستشفى، وترد مختصرة فيقال: مارستان ويطلق على المحل المعد لإقامة المجانين، والمارستان بيت المرضى، وأن الملك مناقيوش بن أشمون أحد ملوك القبط الأول بأرض مصر، أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى، وأودعها العقاقير ورتب فيها الأطباء وأجرى عليهم ما يسعهم، ومناقيوش هذا هو الذي بنى مدينة أخميم، وبنى مدينة سنتريه. وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى: أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن أبو قليدس، وذلك أنه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له، موضعا مفردا للمرضى، وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين، أي مجمع المرضى، وأول من بنى المارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك ببلاد الشام، وذلك في سنة ثمان وثمانين، وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط. **للمزيد راجع:** الأنطاكي (يحيى بن سعيد بن يحيى) (ت: 458هـ/ 1065م): **تاريخ الأنطاكي**، حققه وصنع فهارسه: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس – لبنان، 1990م، ص440؛ ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص55-56 ؛ ابن واصل (محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم أبوعبدالله المازني التميمي الحموي جمال الدين)

البيمارستانات هي إحدى المنشآت الاجتماعية التى كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والأمراء وأهل الخير؛ صدقة وحسبةً وخدمة للإنسانية وتخليدًا لذكراهم، ولم تكن مهمتها قاصرة على مداواة المرضى؛ بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب، يتخرج منها المتطببون والجرّاحون والكحالون كما هو الحال اليوم من يتخرج من كليات الطب[8].

أ- البيمارستان المنصوري.

كان المنصور قلاوون قد اعتزم على إنشاء البيمارستان بالقاهرة ونظر له الأماكن حتى وقع نظره على الدار القطبية [9] من قصور الفاطميين وما يجاورها من القصرين واعتمد إنشاءه هنالك وجعل الدار أصل البيمارستان وبنى بإزائه مدرسة لتدريس العلم وقبة لدفنه، تحت إشراف الأمير علم الدين الشجاعي[10] مدبر الممالك، ورسم بعمارتها بيمارستانا ومدرسة وقبة، وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الانتهاء من تشيده في أسرع مدة ؛ وهي أحد عشر شهرًا وأيام في سنة (683هـ/ 1383م)[11].

ووقف المنصور قلاوون على البيمارستان املاكا وضياعا بمصر والشام وجلس بداخله بعد الانتهاء من بنائه وتناول قدحا من الأشربة الطبية وقال: قد وقفت هذا على مثلى، فمن دونى، وأوقفه السلطان على الملك والمملوك، والجندي والأمير والوزير والكبير

(ت697هـ/1297م): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج2، تحقيق، حسنين محمد ربيع، سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق المصرية – مطبعة الاميرية، القاهرة، 1957م، ص55 ؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي) (ت845هـ/1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م، ص366- 367.

(8) أحمد عيسى بك: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981م،ص3-4.

(9) **الدار القطبية:** هي دار ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد، وأخت الحاكم بأمر الله، وهذه الدار بناها العزيز بالله سنة (384هـ/ 994م) وكان القرآن جميعه مكتوبًا على حيطانها، ومن خواصها أنها لا يدخلها النمل لأجل طلسم فيها، ولما قيل ذلك للسلطان صلاح الدين قال: هذه ما تصلح إلا مارستانًا، ثم سكنها في الدولة الأيوبية مُوسك، ثم الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية (567هـ/1171م)، ثم عُرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وصار يقال لها لدار القطبية نسبة إلى مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية، ولم تزل الدار بيدها إلى= = أن أخذها الملك المنصور قلاوون منها، وعوضت عن ذلك قصر الزمرد سنة(682هم 1383م)، البيمارستان وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر جليلة، منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل. ابن عبد الظاهر: **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق، أيمن سيد فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996م، ص60- 61 .

(10) **الشجاعي:** هو الأمير سنجر بن عبدالله الشجاعي المنصوري, وزير الديار المصرية, ومشيد دواوينها, نائب دمشق, وهو مشيد البيمارستان المنصوري بالقاهرة, تولي نيابة السلطنة في عهد السلطان الأشرف خليل ثم في عهد السلطان محمد عام(693هـ/1293م), إلا أنه استبد بالأمور مستغلاً صغر سن السلطان محمد, وكانت نهايته القتل في نفس العام, وقد فرح أهل مصر كثيراً بقتله, وقد طاف برأسه المشاعلية في شوارع القاهرة فكانت الناس تدفع نصف درهم لتلطمه علي وجهة وتدفع درهماً لتبول عليه. **للمزيد راجع:** ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج8، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب مصر، د. ت، ص43-44.

(11) ابن عبد الظاهر: **الروضة البهية**، ص60- 61 ؛ المقريزي: **الخطط**، ج4، ص268.

والصغير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، وجعل لمن يخرج منه، من المرضى، عند برئه كسوة، ومن مات جهّزه، وكفن ودفن، ورتب فيه الأطباء من جميع التخصصات، الطبائعية والكحالين والجراحين والمجبرين، لمعالجة الرمدى والمرضى والمجرحين والمكسورين من الرجال والنساء، ورتب به الفراشين من الرجال والنساء، والقومة لخدمة المرضى، وإصلاح أماكنهم وتنظيفها، وغسل ثيابهم، وخدمتهم في الحمام، وقرر لهم على ذلك، المرتبات الوافرة ، فكان ذلك من صالح آثاره [12].

ويعد بيمارستان المنصور قلاوون أعظم مستشفيات العصور الوسطى على الإطلاق، فقد أقام في داخل فضاء واسع مسوّر مربع مباني أربعة يتوسطها فناء يزدان بالبواكي، وتلطف حرارته الفساقي والجداول، وكان يحتوي على أقسام منفصلة لمختلف الأمراض وأخرى للناقهين، ومعامل للتحليل، وصيدلية، وعيادات خارجية، ومطابخ، وحمامات، ومكتبة ومسجد للصلاة، وقاعة للمحاضرات، وأماكن للمصابين بالأمراض العقلية، وكان الذين ينتابهم الأرق يستمعون إلى موسيقى هادئة، وقصاصين محترفين، ويعطون في بعض الأحيان كتباً تاريخية للقراءة [13].

وفي عصر المماليك وصل تخصص الطب إلى مرحلة متطورة، ووجد من بين أطباء هذا العصر من كان يُفضل التخصص، وكانوا يؤثرون ويفضلون التخصص في الطب، فنجد حين أوقف المنصور قلاوون بيمارستانه قرر به أربعة أطباء طبائعية **(أطباء الباطنة)**، وأربعة أطباء جراحين**(أطباء الجراحة)**، وأربعة أطباء كحالين **(أطباء العيون)**، وكان أطباء الباطنة: وهم المختصين بعلاج الأمراض الباطنية، وتتركز مهمتهم على الكشف على المرضى في البيمارستان، من الرجال والنساء والإماء والعبيد ومباشرتهم والنظر في حالهم والتلطف بهم ومساءلتهم عن أوجاعهم وتشخيص ما أمكن من أمراض ومعالجتهم بما يصلح من الأدوية والأشربة والأغذية والشربات والحقن، وكان يشترط في أطباء الباطنة، أن يكونوا على معرفة بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلامتها والأدوية النافعة فيها، وطريق مداواتها بالتساوي بين

---

(12) النويري (أحمد بن عبدالوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التميمي البكري، شهاب الدين) (ت 733هـ/1332م): **نهاية الأرب فى فنون الأدب** ،جـ6، دار الكتب والوثائق القومية، بالقاهرة، 2002م.، ج31، ص107؛ ابن خلدون (أبوزيد ولي الدين عبدالرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي)(ت 808 هـ/ 1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف (بتاريخ ابن خلدون)**، ج5، تحقيق: أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ت ، ص462.

(13) ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة – الشرق الأدنى**، المجلد1، جـ2، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت. ج13، ص361.

الأمراض والأدوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كيفياتها، ولا يقدم على العلاج قبل أن يعرف حقيقة المرض وأسبابه، وكافة المعلومات عن المريض والبيئة المحيطة به، وسن المريض والبلد التى هو منها، والفصل المُناخي الذي يعيش فيه، ثم بعد ذلك كله؛ يشرع في علاجه [14]

وقد تطورت علوم الطب في العصر المملوكي، حيث أستعمل الأطباء العديد من النباتات التى تستخدم التخدير، مثل البنج واللفاح والأفيون وأجادوا استخدام نباتات أخرى مثل النيلوفر والزعفران في عملياتهم الجراحية كمخدر وأن الجراحة لم تتطور بالتطور الملحوظ إلا بعد **اكتشاف التخدير خلال العصر المملوكي** وبعد إتقان طرق التعقيم؛ إذا كان بعض الجرحى لا يتحملون العمليات الجراحية فيموتون إما بسبب الالم الشديد، أو النزيف فكان البعض يتخوفون من العمليات الجراحية وكان هذا من أسباب عرقلة تقدم الجراحة إذا كان الجرحى يفضلون الدواء بدلًا من العمليات الجراحية، إلا أنها لم تعرقل تطور الجراحة خلال العصر المملوكي [15].

وممن عاصر بناء البيمارستان المنصوري، وبرع في الطب في العصر المملوكي ابن النّفيس[16]، الذي لم يكن في عصره من يضاهيه في الطّبّ والعلاج والعلم، وانتهت إليه رياسة فنّه في زمانه، وعند موته سنة (687هـ/ 1288م) وبعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلّق به على البيمارستان المنصوريّ[17].

كذلك كان سلاطين المماليك عند خروجهم للحرب يصطحبون معهم بيمارستانًا حربيًا متنقلًا، كما يصطحبون الأطباء، والكحالين، والجراحين، والأشربة والعقاقير، وكان يصف الطبيب ويصرف للجرحى والمرضى ما يناسبهم من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المصاحبين للبيمارستان الحربي، فنجد السلطان الظاهر بيبرس عندما حاصر مدينة صفد سنة (664هـ/ 1266م) كان للبيمارستان الميداني دورًا مهمًا حيث قام الأطباء بدور بارز

---

(14) محمد عطية أبو هويشل: **الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، تحت إشراف: أ. د: رياض مصطفى شاهين، 2012م، ص12-13-14.

(15) أحمد حامد أحمد موسى البعلبكي: **البيمارستانات الحربية الميدانية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250- 1517م)** مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، عدد(1) أبريل 2017م، ص289.

(16) **ابن النّفيس:** الشيخ الطبيب علاء الدين عليّ بن أبى الحرم القرشي الدّمشقيّ المعروف بابن النّفيس الحكيم الفاضل العلّامة في فنّه، وهو صاحب التصانيف المفيدة، منها: الشامل في الطب، والمهذّب في الكحل، والموجز، وشرح القانون لابن سينا، وكانت تصانيفه يمليها من حفظه ولا يحتاج إلى مراجعة لتبحره في فنه، ولم يكن في الطب على ظهر الأرض مثله، وقيل: ولا جاء بعد ابن سينا مثله. ابن تغري بري: **النجوم الزاهرة**، ج7، ص377؛ محمد عطية: **الأحوال الصحية والطبية**، ص3.

(17) ابن تغري بري: **النجوم الزاهرة**، ج7، ص377.

في علاج المصابين والجرحى من الجيش المملوكي[18]. **وهذا أن دل فإنما يدل على قيمة وروعة البيمارستان المنصوري حيث انبهر به كل من شاهده من المؤرخين والرحالة بن بطوطة، فعلى حد قولهم أنه أعظم مستشفيات الدنيا في ذلك العصر؛ حيث تعتبر يعالج فيها المرضى في العصور الوسطى.**

وهناك ثلاثة روايات في سبب بناء المنصور قلاوون للبيمارستان:

الرواية الأولى اوردها المقريزي: أنه لما توجه المنصور قلاوون وهو أمير إلى غزو الروم في سلطنة الظاهر بيبرس سنة (675هـ/1276م)، أصابه بدمشق مرض خطير، فعالجه الأطباء بأدوية أخذت له من بيمارستان نور الدين محمود، فبرأ، وركب حتى شاهد البيمارستان فأعجب به، ونذر أن آتاه الله الملك أن يبني بيمارستانًا، فلما تسلطن أخذ في تشيد بيمارستانه [19].

الرواية الثانية أوردها ابن إياس: قيل أن المنصور قلاوون قد أمر بشئ كان له فيه اختيار، فخالفه جماعة من عوام الناس، ورجموا المماليك بالحجارة، فغضب عليهم السلطان، وأمر المماليك أن يقتلوا كل من وجدوه من العوام، فأستمر القتل فيهم ثلاثة أيام، حتى قتل ما لا يحصى من العوام، فلما تزايد الأمر شفع القضاة والعلماء عند السلطان، فأمر بكف القتل عنهم، ثم ندم السلطان بعد ذلك، فأشار عليه بعض العلماء أن يفعل شيئًا من أعمال البر والخير، فشرع في بناء هذا البيمارستان[20].

الرواية الثالثة: أوردها ابن عبد الظاهر: أنه عندما زار السلطان المنصور قلاوون قبر زوجته، وشاهد حُسن العمارة فيها تشوّقت نفسه إلى فعل الخير، فاختار بناء مارستان عظيم الشأن لا تصل همة ملك إلى ابتناء مثله، وما سمع بناءً اهتم فيه كما اهتم بهذه العمارة. وكذلك مدرسة للعلوم، وقبة لقراءة القرآن وتلاوته[21].

من خلال ما سبق يتبين: أن أول بيمارستان تم بنائه في العصر المملوكي كان بيمارستان المنصور قلاوون، وكان هناك عدة روايات في بنائه ويميل الباحث إلى الرواية الثالثة؛ وذلك كون المؤرخ ابن عبد الظاهر معاصرًا لتلك الأحداث وقريب من السلطان المنصور قلاوون كونه يتقلد منصب مهم في الدولة؛ وهو رئيس ديوان الأنشاء، مما جعله قريبًا من السلطة الحاكمة.

---

(18) أحمد البعلبكي: **البيمارستانات الحربية**، ص289.

(19) **الخطط**، ج4، ص268.

(20) **بدائع الزهور**, ج1, ق2, ص354.

(21) **تشريف الأيام والعصور** ، ص55–56.

2- البيمارستان المؤيدي[22]: أنشأه المؤيد شيخ [23] في مدة أولها جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين، ونزل فيه المرضى في نصف شعبان، وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدي المجاور لباب زويلة، فلما مات الملك المؤيد سنة (824هـ/ 1421م) تعطل قليلا، ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في نفس العام، وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان، ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وإمام ومؤذنون وبواب وقومة، وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فاستمر جامعا تصرف معاليم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدي[24].

ثانيًا: المنشآت العامة ذات الطابع الاجتماعي:

1- الأسبلة:

لقد حرص سلاطين المماليك ورجال دولتهم على إقامة أسبلة الماء، وحفر الآبار داخل المدن كي ينتفع بها الناس وحيواناتهم، والزموا أصحاب الدكاكين والمحلات والحوانيت بملئ أزيار بجوار محلاتهم، ومن ذلك ما قام به الظاهر بيبرس، حيث رأى احتياج الفقراء إلى الماء عند سفح المقطم، فأمر أحد أجناده بعمارة بئر هناك ووقفه لله [25].

---

(22) **البيمارستان المؤيدي**: شُيد هذا البيمارستان بالصوة تجاه الطبلخاناة السلطانية بقلعة الجبل، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التي هدمها الناصر فرج بن برقوق، وكانت من محاسن الدنيا .المقريزي: **الخطط**، ج4، 271-272؛ تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج13، ص123.

(23) **المؤيد شيخ**: السلطان المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى، وهو السلطان الثامن والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والرابع من الجراكسة وأولادهم، ونشأ ذكيا، فتعلم الفروسية من اللعب بالرمح، ورمي النشاب والضرب بالسيف، وأصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، اشتراه من أستاذه الخواجا محمود شاه البرزى في سنة (782هـ/1380م)، قبل سلطنته بنحو السنتين، وكان عمر شيخ المذكور يوم اشتراه الملك الظاهر نحو اثنتى عشرة سنة تقريبًا، وجعله برقوق من جملة مماليكه، ثم أعتقه بعد سلطنته، ورقاه إلى أن جعله خاصكيًا ثم ساقيًا في سلطنته الثانية، وغضب عليه الملك الظاهر برقوق غير مرة، وضربه ضربا مبرحا؛ لانهما كه في السكر وعزره وهو لا يرجع عما هو فيه، كل ذلك وهو في رتبته وخصوصيته عند أستاذه إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة، ثم نقله إلى طبلخاناه، ثم خلع عليه باستقراره أمير حاج المحمل في(801هـ/ 1398م)، فسار بالحج وعاد وقد مات أستاذه الملك الظاهر برقوق، فأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية،(802هـ/ 1399م) في نيابة طرابلس، ثم نقل بعد مدة إلى نيابة دمشق، ثم وقعت تلك الفتن وثارت الحروب بين الأمراء الظاهرية، ثم بينهم وبين ابن أستاذهم الملك الناصر فرج، ولا زال المؤيد شيخ يدبر والأقدار تساعده إلى أن استولى على السلطة بعد القبض على الملك الناصر فرج، وقتله سنة (815هـ/ 1412م). ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ج14، ص1-2؛ العصامي: (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي) (ت: 1111هـ/ 1699م): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج4، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص45.

(24) المقريزي: **الخطط**، ج4، 271-272.

(25) البيومي إسماعيل الشربيني: **الأمن البيئي في عصور السيادة " عصر سلاطين المماليك"**، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر، العدد (33) يونية، 2004م، ص85.

وكان من رسم أرباب الحوانيت في دولة المماليك أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوءًا بالماء مخافة أن يحدث الحريق في مكان فيطفأ بسرعة، ويلزم صاحب كل حانوت أن يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج إلى الصباح، ويقام في القصبة قوم يكنسون الأزبال والأتربة ونحوها، ويرشون كل يوم، ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها، ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الأوساخ في الطرقات حتى لا تعلو الشوارع[26].

2- الحمامات العامة.

الحمام مؤسسة اجتماعية كان لها دورها في ذلك العصر أذ إنها تدل على أن المجتمع الذي يكثر فيه الحمامات بأنه مجتمع يحب النظافة والطهارة، وهي ظاهرة إيجابية، كما أنها كانت مكانًا للاستشفاء وأن دخولها يدل على شفاء الإنسان من مرضه رجلًا كان أو امرأة، إضافة إلى كونها مكانًا للإعلان عن مناسبات الزواج حيث يتوجه العروسان إلى الحمام مع الأهل والأصدقاء في موكب فرح وسرور وغناء، وبعض الحمامات كانت خاصة للرجال والبعض الأخر خاض بالنساء، وبعضها مشترك لكل جنس ميعاد محدد، ثم أصبح الحمام مكانًا للتنافس والتباهي لإظهار الأزياء مما أدى إلى ظهور مفاسد اجتماعية بسبب تغيب المرأة عن بيتها لفترات طويلة؛ مما انعكس ذلك على دورها الأسري، وكانت هذه الظاهرة ابتعادًا عن الخط الأخلاقي الذي نهى عنه الإسلام، مما جعل بعض الفقهاء أفتى بالكراهة والمنع أحيانًا من ارتياد الحمامات للنساء لهذه الأسباب [27].

---

(26) المقريزي: **الخطط**، ج3، 194.

(27) ليث سعود جاسم القيسي، إيمان محمد عباس: **الظواهر الاجتماعية في الوسط النسائي في العصر المملوكي ودور العلماء الصوفية في علاجها**، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، العدد(7-8)، 2007م، ص111- 112.

الخاتمة

وفي النهاية البحث عن مستحدثات المنشآت الاجتماعية في مصر خلال عصر المماليك فقد توصل الباحث إلى بعض النتائج التالية:

- أن سلاطين المماليك كانت تجعل من يقوم على أموال اليتامى والغائبين ما يسمى بالأمناء، وذلك لما بدر عن بعض القضاة وأخذهم أموال اليتامى بغير وجه حق.
- استحدثت الدولة ما يسمى بالأمناء حتى لا تقع أموال اليتامى في أيدى بعض القضاة ضعاف النفوس.
- أن أول بيمارستان تم بنائه في العصر المملوكي كان بيمارستان المنصور قلاوون، وكان هناك عدة روايات في بنائه ويميل الباحث إلى الرواية الثالثة؛ وذلك كون المؤرخ ابن عبد الظاهر معاصرًا لتلك الأحداث وقريب من السلطان المنصور قلاوون كونه يتقلد منصب مهم في الدولة؛ وهو رئيس ديوان الأنشاء، مما جعله قريبًا من السلطة الحاكمة.
- لقد حرص سلاطين المماليك ورجال دولتهم على إقامة أسبلة الماء، وحفر الآبار داخل المدن كي ينتفع بها الناس وحيواناتهم.
- كما كان هناك كثير من الحمامات وهو ما يدل أن مجتمع المماليك مجتمعًا يحب النظافة والطهارة، وهي ظاهرة إيجابية.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

1-الأنطاكي (يحيى بن سعيد بن يحيى) (ت: 458هـ/ 1065م): **تاريخ الأنطاكي**، حققه وصنع فهارسه: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس – لبنان، 1990م.

2-ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى) (ت 930هـ/1523م): **بدائع الزهورفى وقائع الدهور**،جـ1، ق2، تحقيق، محمد مصطفى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.

3- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله) (ت 779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج1، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996م، 226-227.

4- تغري بردي (يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين) (ت: 874هـ/1496م):**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، وضع حواشيه، محمد محمد أمين، تقديم، سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، د. ت.

5- ــــــــــ: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج8، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب مصر، د. ت.

6- ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد العسقلاني) (ت852هـ/1448): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق، محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر اباد- الهند، ط2، 1972م.

7- ابن خلدون (أبوزيد ولي الدين عبدالرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي) (ت 808 هـ/ 1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف (بتاريخ ابن خلدون)**، ج5، تحقيق: أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ت.

8-ابن عبد الظاهر (محي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد الدين نشوان السعدى المصري) (ت 692هـ/1292م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق، مراد كامل، راجعه، محمد على النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر،1961م.

9-ــــــــــ: **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق، أيمن سيد فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996م.

10-العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي) (ت: 1111هـ/ 1699م): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج4، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

11-العمري (أحمد يحي بن فضل الله القرشي العدوي شهاب الدين) (ت 749هـ/ 1348): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج3, المجمع الثقافى، أبوظبى،1961م.

12-المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي) (ت845هـ/1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م.

13- النويري (أحمد بن عبدالوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التميمي البكري، شهاب الدين) (ت 733هـ/1332م): **نهاية الأرب فى فنون الأدب** ،جـ6، دار الكتب والوثائق القومية، بالقاهرة، 2002م.

14-ابن واصل (محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم أبوعبدالله المازني التميمي الحموي جمال الدين) (ت697هـ/1297م): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج2، تحقيق، حسنين محمد ربيع، سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق المصرية – مطبعة الاميرية، القاهرة، 1957م.

ثانيًا: المراجع:

15-أحمد عيسى بك: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**،دار الرائد العربي، بيروت، ط2،1981م.

16-علي ابراهيم حسن: **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص**, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1944م.

17-ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة – الشرق الأدنى**، المجلد1، جـ2، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت.

ثالثًا: الدوريات والرسائل العلمية:

18-أحمد حامد أحمد موسى البعلبكي: **البيمارستانات الحربية الميدانية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648- 923هـ/ 1250- 1517م)** مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، عدد(1) أبريل 2017م

19-البيومي إسماعيل الشربيني: **الأمن البيئي في عصور السيادة " عصر سلاطين المماليك"**، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر، العدد (33) يونية، 2004م.

20-محمد عطية أبو هويشل: **الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، تحت إشراف: أ. د: رياض مصطفى شاهين، 2012م

21-ليث سعود جاسم القيسي، إيمان محمد عباس: **الظواهر الاجتماعية في الوسط النسائي في العصر المملوكي ودور العلماء الصوفية في علاجها**، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، العدد(7-8)، 2007م.

22-يسرى أحمد عبدالله زيدان: **رعاية الأيتام في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (15)، 2007م.